لحظات صالحة للقتل

عيناها أبرز ما فيها. أتعلق بهما مندهشا. بالرغم من بدء إسدال الظلام أستاره إلا أنها تبدو لامعة كالوهج. تتلاشى ضجة أبواق السيارات. صوت صفارة الشرطي المنظم للمرور. لم أعد أرى غيرها. أنتبه على ضوء لمبات النيون التي أضاءت فجأة. كرنفال الإعلانات الملونة تضيء ثم تطفئ ثم تضئ فتظلل وجهها بظلال لونية خافتة تزيده رقة وفتنة. تلاحظ نظراتي المتمهلة على قسمات وجهها فتبتسم بإيماءة خفيفة. أبادلها الابتسام. أقترب منها في زحام ميدان التحرير. أقف جانبها. تزداد ابتسامتها اتساعا. أقول محاولا كسر حاجز الصمت:

- مرتبطة؟

- على الإطلاق.

- ما رأيك؟

- أين؟

- لست أدري.

تقول مبتسمة:

- إذن اتفقنا.

أضحك مبتهجا. أتساءل:

- تؤمنين باللحظة؟

- أحب أن أعيشها بصدق.

- كيف؟

- هكذا بلا تفكير في الآتي؛ فأنا لا أملكه.

سعيدا:

- ستكون صحبتنا سعيدة.

- أعتقد هذا.

ننطلق وكأننا طفلين مازالا سعيدين بهذه الحياة. يغضب منا الشرطي الواقف بوسط الميدان. يشير إلينا بالعبور من خلال دهاليز المترو. نبتسم في وجهه. أقول:

- بالتأكيد هو مضغوط.

- أجل، وإلا ما غضب.

نلتفت نحوه قبل هبوطنا. كان رئيسه يوبخه. الممرات شديدة الهدوء بالرغم من كون الوقت ليس متأخرا. نتجه صوب شارع طلعت حرب. نتأمل الخلق. السائحون يزحمون المنطقة بشكل اعتيادي. أحدهم يسير مطوقا فتاته بينما رأسها توسدت كتفه. منظرهما متآلفا رائعا. أقول:

- لم لا نفعل مثلهم؟

لم ترد. أنظر إليها. أرى عينيها مصوبتين تجاه الحزب الناصري. مندهشا:

- ماذا هناك؟

- أعشقه، بالفعل أكاد أعبده.

- من؟

- ناصر.

أصمت. تتساءل:

- ماذا دهاك؟

- لست أدري، مشاعري تجاهه مذبذبة.

- أتكرهه؟

- أحيانا، وأخرى أحبه... أعذريني هو الآخر كان مذبذبا تجاهنا.

- من أنتم؟

- المقهورون.

تنظر إليّ بعينين يملؤهما العطف وربما هو الحب المفاجئ، لست أدري. تلتف ذراعها حول وسطي مطوقة إياي. تضمني بحنو لا مبرر له. تهمس قائلة:

- أحبك.

- هكذا في لحظات؟

بتأفف:

- **please** لا تكن تقليديا.

أضحك لأقول لها بطريقتها:

- **ok, don't worry**

تبتسم لتحث الخطو ضامة إياي إليها بقوة. نجلس على زهرة البستان. أقول:

- هذا المكان أعشقه.

لا تعلق. أطلب لها نارجيلة ولي أخرى. تنبعث قهقهة عالية بالقرب منا. أتبين من خلالها صوت محمد مستجاب. ألتفت خلفي. أراه جالسا بجلبابه ومعطفه الشهيرين وحوله حواريوه. أبتسم. التفت إليها. تسحب دخان نارجيلتها بعمق لتنفثه في وجهي. ترشف قهوتها السادة لتقول:

- كم هي لذيذة تلك المرارة.

- مرارة القهوة أم اللحظة؟

- كلاهما سواء، لا فرق.

- يبدو أنني أحببتك.

- لقد سبقتك في هذا.

أتأمل شفتيها المكتنزتين. قرمزيتين، ممتلئتين، تدعواني للتقبيل. تتابع نظرتي بعينيها. تبتسم قائلة:

- ما رأيك؟

- كم أرغب هذا.

- وما المانع؟

- الجو المحيط.

- لكنه لن يستطيع منعي.

- كيف؟

تتناول كفي برقة. ترفعها إلى شفتيها فتقبلها. تقول:

- هكذا أكون قد أشبعت بعضا من رغبتي.

تصمت برهة لتقول:

– الكبت حقير.

أتناول كفها الصغيرة. أغرقها لثما. أسمع صوتا ليس بالغريب يفيقني:

– كيف الحال يا بطل؟

أنتفض من وقع المفاجأة:

– أهلا سعدني السلاموني، كيف حالك؟

– تمام.

أقدمهما للتعارف. يلقي علينا قصيدته الجديدة. أستمع إليه ممتزجا مع لهجته القادمة من أعماق الريف. أبدي ملاحظاتي على القصيدة. يتهمني بالتقليدية فأتهمه بالنرجسية ثم يعود بيننا الصفاء. يتشعب حديثنا في السياسة والأدب والجنس ثم الجنس، ثم الجنس. نتبادل النكات البذيئة لتعلو أصواتنا تتحدى الكون. يتأملها بنهم. تعلق عيناه على نهديها بوقاحة. تستاء:

– لا أحب هذه الفجاجة.

أقول مؤيدا لها:

– لو كنت امرأة لتقززت من طريقتك.

يقول ضاحكا:

– أنت تافه وابن تافه، لو كنت أنت امرأة لضاجعتك.

أضحك قائلا:

– أشكر الله أني رجل حتى لا يضاجعني أمثالك.

أبادلها نظرات الرغبة. تميل عليّ:

- ألم تشتق بعد؟

- ولكن كيف؟

أراها تقوم لتدفع الحساب. نادتني من بُعد. أستأذنه فيبصق على وجهي قائلا:

- كل هذا لك وحدك؟

أضحك وإياه. أنطلق معها. في شارع 26 يوليو عند ممر جراند أوتيل، تجذبني فجأة لتقبلني بعنف وكأنها تأكل شفتيّ. أمتزج معها فأبادلها القبل ممتصا لعابها. أطمسها في جسدي. نفيق على صوت فرملة قوية. أنظر في الساعة. الثانية بعد منتصف الليل. تقول:

- سرنا كثيرا.

كان ذهني مشغولا. نتجه صوب منزلي. ما أن أضع المفتاح بثقب الباب إلا وأسمع صوتا بالداخل. علّه أحد الأصدقاء؛ فقد كنت أعطيهم مفتاح الشقة كي يدخلونها إذا لم أكن موجودا. أطلب منها الانتظار. كان ظني صحيحا. أقول:

- متى حضرت؟

- منذ نصف الساعة.

- ألم تغضب في المرة الأخيرة وقلت أنك لن تأتي ثانية؟

يرد باسما:

- الظروف حكمت عليّ أن أعيش مع أحد الأنذال.

أرحب به على عجل لأتركه متعللا بميعاد. أفكر في أحد الأصدقاء. أتجه معها صوب ميت عقبة. لم يكن أحد بالشقة. يالها من

ليلة. أشعر بحركة بين فخذيّ. ندخل المصعد. تهبط يدها لأسفل. تمسكني برقة فأشعر بشد شديد. يقبب بنطالي. أطحنها بين ذراعي. تهبط كفي لتتحسس ردفيها. تدعكهما حتى ليكادا أن يمزقا. تعمل يدي في فك أزرار بلوزتها. ينطلق نهداها الفتيان. ألثمهما ممتصا. نتباعد لنخرج من المصعد. تقول وهي مازالت تلهث:

- عندي فكرة رائعة.

- أي فكرة؟

- لا تسأل، فقط تعالى معي.

تسرع بي نحو إحدى البنايات المرتفعة. نصعد حتى الطابق الأخير. على سطح البناية أتأملها تخلع ملابسها بينما أشعر بخوف من الارتفاع الشاهق في الدور الخامس عشر. حينما أراها عارية أبتسم قائلا:

- عبقرية.

تساعدني في خلع ملابسي. نفرش ملابسنا كي ننام عليها. أضواء الإعلانات الضوئية تنعكس على جسدها فتكسبه بهاء وقدسية. نهداها في أوج شموخهما. أشعر بالموجودات تتأمل جسدها البديع. أحتضنها بقوة حتى تكاد أن تدخل في ضلوعي الواهية. تتأوه منتشية. تستلقي على ظهرها لينفرج فخذاها. تطلب مني أن ألعقها. أرفض؛ فتنهض لتشرع في ارتداء ثيابها. أضعف أمام رغبتي. أوافقها؛ فأدفن وجهي بين فخذيها. أسمع صوتها تئن ملتذة. تهتاج. أشعر بأصابعها تجذب شعر رأسي حتى خيل إليّ أنها ستخلع فروة رأسي. تطبق بأصابعها

على كتفي حتى شعرتها قد انغرست في لحمي. تجذبني بقوة. تعدل من وضعها لتستلقي على بطنها. أقبل ظهرها. تقعى لتطالبني بمضاجعتها. تهمس:

- أحب هذا الوضع.

بعد انتهاءنا نجلس لندخن سجائرنا وقد توحدنا مع الموجودات راضين. أشرد بعيدا. أتأملها في عريها. رائعة. تتوسد كتفي العاري. لتقول بينما يدها تعبث بذكورتي:

- ماذا يدور برأسك؟

- أفكر في معنى حياتنا.

- عشها فقط بلا تفكير.

- كيف؟

- افعل كل ما يطرأ على رأسك في التوّ، عش لحظتك ولا تفكر في القادم.

أشعر بنفسي قد توترت مرة أخرى نتيجة عبثها بذكورتي.أنتصب مرة أخرى. أجذبها لتقف. أديرها بعنف ليكون ظهرها مواجها لي. تنحني بنصفها العلوي على سور البناية. أضاجعها بقسوة بينما رأسها ونهداها متدليان في الهواء خارج الحدود المادية لسطح البناية. أتأمل السيارات من هذا العلّ الشاهق. أتساءل:

- ماذا لو هبط المرء من هذا الارتفاع؟

أحاول إبعاد الفكرة عن ذهني؛ حتى لا يأخذني الدوار. تقول متأوهة:

– كم هو رائع أن تضاجع شخصا من هذا الارتفاع، إنها تجربة مثيرة.

تطول فترة مضاجعتي لها فتصرخ بقـوة منتـشية. تـستزيدني. أنتهي بينما جسدي يرتج في نهاية الفعل. أقول:

– ما رأيك في حياة اللحظة؟

تقول بينما جسدها يرتعش لذة:

– رائعة.

– إذن، لم لا تعيشيها للأبد؟

ينطلق ذراعاي بقوة دافعة إياها خارج نطاق المكان. أنظر لأسفل فأراها تهوى بقوة نحو الأرض بينما عريها يزداد قدسية فأمارس لـه صلواتي النورانية. أرتدي ملابسي بهدوء لأهبط هادئا.